علم البيان وأسئلة التفسير

دراسة في الفكر التأويلي عند الفراء

Themes of rhetoric and interpretation of the Koran at Al-Farra

الدكتور: مصطفى منتوران

مختبر الترجمة وتكامل المعارف-جامعة القاضي عياض-مراكش (المغرب)

mantouranmostapha@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/05/26

تاريخ القبول: 2019/09/26

ملخص:

تمتج البلاغة في (معاني القرآن) للفراء بعلم النحو ومسائله، حتى إن الباحث ليجد عناء في إقامة حدود فاصلة بينهما، وتلك ميزة اختص بها منهج الفراء التفسيري، ولذلك فالأساليب البلاغية عند الفراء تسري في نصوص الكتاب وتضاعفه ولا تخضع لتقسيم أو حد أو تعقيد، وإنما هي تحليلات لأنساق اللغة القرآنية مبثوثة في الكتاب هنا وهناك. وتتجلى أساساً في مجازات العرب التي يعدل فيها المتكلم عن العبارات الظاهرة المباشرة، إلى عبارات غير مألوفة لغرض فني جمالي، أو نكتة بيانية يستدعيها مقام الخطاب.

نرمي في هذا البحث إلى الإبانة عن منهج الفراء في استثمار الدرس البلاغي للاستدلال على سعة كلام العرب في بناء التراكيب وإنشاء الأساليب، وهي خاصية من خصائص العربية التي طالما احتج بها الفراء وغيره من النحاة واللغويين الأوائل الذين تناولوا لغة النص القرآني بالمدارسة والتحليل. وقد شكلت التأويلات البلاغية في معاني الفراء أحد المداخل المعرفية التي يسلكها الفراء للإبانة عن المعنى القرآني والإجابة عن الأسئلة اللغوية التي يطرحها علم التفسير.

Abstract

The purpose of this research is to show how Al-Farra has exploited rhetoric to confirm the great diversity of the Arabic language in both its syntax and its style. This diversity was long invoked by Al-Farra as well as the ancient grammarians and linguists who studied and analyzed the Koranic text. The rhetorical interpretations in "Maani al-Quran" constitute one of the cognitive inputs adopted by Al-Farra to deduce the Quranic meaning and to answer the language questions raised by the science of Tafsir (exegesis of the Qur'an).

علم البيان وأسئلة التفسير: دراسة في الفكر التأويلي عند الفراء

تقديم

يقوم الفكر اللغوي للفراء على صناعة النحو ومسائله، حتى إن الباحث ليجد عناء في الفصل بين مباحث البلاغة وقضايا النحو الكوفي، وتلك ميزة اختص بها معاني الفراء، وإذا ما قورن - من هذه الناحية - بكتاب سيبويه فإننا نجد بين الكتابين تبايناً واختلافاً؛ فالنحو في كتاب سيبويه أبرز وأوضح لا يكاد يخالطه شيء من العلوم الأخرى، على خلاف معاني الفراء الذي يعد الاشتباك المعرفي بين علوم العربية أحد أهم سماته وخصائصه المنهجية؛ ولذلك فالأساليب البلاغية عند الفراء تسري في نصوص الكتاب وتضاعفه ولا تخضع لتقسيم أو حدّ أو تععيد، وإنما هي تحليلات لأنساق اللغة القرآنية مبثوثة في الكتاب هنا وهناك.

وسنعرض في هذا البحث لنماذج من الأساليب البلاغية التي استقيناه من معاني القرآن، ثم نقف عند ظاهرة التوسّع البلاغي في أشكال ونماذج، وهي تتمثل أساساً في مجازات العرب التي يعدل فيها العربي عن العبارات الظاهرة المباشرة، إلى عبارات غير مألوفة لغرض فني جمالي، أو نكتة بيانية يستدعيها مقام الخطاب.

إن الأساليب البلاغية التي سنوردها في هذا البحث نرمي من وراءها إلى الاستدلال المستند إلى المسائل التطبيقية على سعة كلام العرب في بناء التراكيب وإنشاء الأساليب، وهي خاصة من خصائص العربية التي طالما احتج بها الفراء وغيره من النحاة واللغويين الأوائل الذين تناولوا لغة النص القرآني بالمدارسة والتحليل. وقد شكلت التأويلات البلاغية في معاني الفراء أحد المداخل المعرفية التي يسلكها الفراء للإبانة عن المعنى القرآني والإجابة عن الأسئلة اللغوية التي يطرحها علم التفسير.

أولاً: آلية التشبيه ووظيفته التفسيرية

التشبيه أسلوب بلاغي مستعمل في كلام العرب شعره ونثره، قال المبرد: "التشبيه جارٍ كثيرٌ في الكلام، أعني كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم، لم يُبعد¹. وتشبيهات القرآن مقصد أساس في منهج الفراء التحليلي خاصة حين يحتمل معناها الإشكال والإبهام، مما يستدعي البيان والإفهام، والتشبيه عند الفراء لا يقف عند مجرد التوصيف الظاهر للغة، وإنما يسعى الفراء إلى تحليل الصورة التشبيهية واعتمادها ضمن مكونات معرفية تؤسس للمعنى القرآني.

1. إضمار كاف التشبيه

ألمح الفراء إلى تحكّم المعنى في حذف كاف التشبيه أو ذكرها، وربما قدر الكاف المحذوفة من التركيب على نية الذكر، قال: "تقول: قد ضربت اليوم ضربتك، والمعنى: ضربت كضربتك، وليس المعنى هاهنا كقولك: ضربت ضرباً لأن ضرباً لا تضم الكاف فيه لأنك لم تشبهه بشيء، وإنما شبهت ضربك بضرب غيرك فحسنت فيه الكاف."² في هذا النص يستدل الفراء على أن لفظ (استعجالهم) من قول تعالى: (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِّيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ) [يونس: 11] ليس بالمصدر المؤكّد للفعل (يعجل) إذ لو كذلك لم يحسن دخول كاف التشبيه عليه، وإنما هو اسم منصوب على إسقاط الكاف؛ لأن المصدر لا تحذف منه الكاف، والمعنى: كاستعجالهم، فهذا منطوق كلام الفراء، وهو عنده بمنزلة قول القائل: ضربت اليوم ضربتك، أي كضربتك³، فانظر كيف وظف الفراء أسلوب التشبيه المحذوف الأداة في تحديد أحد المعنيين المحتملين في الآية الكريمة.

2. المغايرة التركيبية والدلالية بين طرفي التشبيه

توقف الفراء عند تشبيه قرآني خُلف فيه بين طرفي التشبيه إفراداً وجمعاً، وهو قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: 32]، فالموج واحد في اللفظ والظلل جمع ظلّة، وهي السحابة، ومسوغ عقد المماثلة بين طرفي التشبيه هاهنا، حمل

لفظ الموج على معناه، لا على لفظه، قال الفراء: "فشبهه بالظلل والموج واحد؛ لأن الموج يركب بعضه بعضا، ويأتي شيء بعد شيء"⁴، ولذا جاز التشبيه في مثل هذا، ووجه الشبه بين الموج والسحاب "شدة السواد"⁵ في كل. قال الزجاج في تعليق هذا التشبيه القرآني: "لأن موج البحر يعظم حتى يصير كأنه ظلل"⁶، وفي هذا النص دليل على استيعاب الفراء لنظام أسلوب التشبيه، ولا أدل على ذلك من اهتدائه إلى العدول الحاصل في التركيب، والبحث عن تعليقه ومسوغه، وهذا يكون أسلوب التشبيه من الأساليب القرآنية التي يعترضها الإشكال مما يستثير آلية التحليل عند الفراء بغية الوصول إلى معنى قرآني قائم على أصول العربية واستعمالها الفطرية.

ونمثل هاهنا بنص آخر يتناول فيه الفراء تشبيها قرآنيا بتحليل بديع، فقد ذكر في معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: 37]، أن الوردة معناها (الفرسُ الوردة) وهو نوع من الخيل يتبدل لونه باختلاف الفصول، قال الفراء: "أراد بالوردة الفرس، الوردة تكون في الربيع وردة إلى الصُفرة، فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغُبرة، فشبه تلَوْنَ السماء بتلَوْنَ الوردة من الخيل، وشبهت الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه. ويقال: إن الدِّهَان الأديم الأحمر"⁷. فهذا تشبيه قرآني أخرج ما لم تجربه العادة إلى ما جرت به العادة⁸ لاستحضار هول يوم القيامة، والمعنى الجامع بين طرفي التشبيه اختلاف الألوان وتبدلها. وقد تناقل المفسرون⁹ هذا التحليل عن الفراء وضمنوه تفاسيرهم لما فيه من قوة الملاحظة ودقة التحليل.

ومن التشبيهات القرآنية الخارجة عن مقتضى الظاهر، والتي استوقفت الفراء قوله جل ذكره: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة: 171]، الظاهر من الآية تشبيه الكفار بناعق الغنم وهو الراعي، وفيه هذه الصورة عدول تشبيهي بيته الفراء، بقوله: "ولم يقل: كالغنم، والمعنى - والله أعلم - مثل الذين كفروا (كمثل الجاهل) التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت، فلو قال لها: أرمي أو اشربي، لم تدر ما يقول لها. فكذلك مثل الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن وإنذار الرسول"¹⁰. وهذا مما حوّل فيه المعنى عن ظاهره؛ لأن الذي ينعق ويصوت هو الراعي، والمراد بالتشبيه المنعوق به وهي الغنم.

إن التشبيه عند الفراء لا يخلو من لمسات بيانية تدفع المتلقي إلى التوصل إلى المعنى من خلال التحليل البلاغي المستند إلى أصول العربية والذوق الفني، ولئن كانت هذه الإلمحات البلاغية محدودة فإنها ذات أهمية بالغة، خاصة إذا استحضرننا أن (معاني القرآن) للفراء من المؤلفات الأولى التي تناولت النص القرآني بالتحليل اللغوي القائم على تخريج مشكلات الخطاب القرآني وفق مذاهب العرب، والتي عُدَّت فيما بعد رافدا أساسا للدرس البلاغي.

ثانيا: تجليات المجاز في المعنى القرآني

المجاز مذهب من مذاهب العرب في الكلام تفتن فيه، وتسلك مسالكه في مختلف مقامات الخطاب، ولا شك أن القرآن الكريم قد نزل بمذاهب العرب وطرائقهم الكلامية، وبما يعنون بها من أصناف المعاني ومراتبها، وقد استأثرت الأساليب المجازية بعناية الفراء وهو يقارب مدلول المقاطع الإشكالية في النص القرآني، وفيما يلي نماذج من ألوان المجاز القرآني في معاني الفراء.

1. آلية الاستعارة ووظيفتها الدلالية

الاستعارة أسلوب عربي فطري ومذهب من مذاهب العربية، وقد استوقفت استعارات القرآن أبا زكريا الفراء وحلها تحليلًا يتناسب والحقبة الزمنية التي ألف فيها كتابه (معاني القرآن)، فالاستعارة آنذاك لما تأخذ مفهوما واضحا محددًا، ولذلك لم نعثر عنده لتعريف الاستعارة أو حتى ما يشبه التعريف، غير أننا نستشف من بعض نصوصه تمثله الدقيق لهذا الاستعمال العربي وإن لم يسمه باسمه، ولعل ابن قتيبة (276هـ) أول من وضع تعريفًا يقرب مفهوم الاستعارة وعدّها أسلوبًا من أساليب العربية، حين قال: "فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاورا لها، أو مشاكلا"¹¹، وهذا تعريف يشمل الاستعارة وغيرها من أنواع المجاز الأخرى، وتكاد نظرة علماء القرن الثالث الهجري تتفق على أن الاستعارة توسع وانحرف لغوي عن المعنى الأصلي للكلمة إلى معانٍ أخرى غير مألوفة لعلاقة بين المعنيين، يقول ثعلب (291هـ) في الاستعارة: "وهو أن يُستعار للشيء اسمٌ غيره، أو معنى سواه؛ كقول امرئ القيس في صفة الليل، فاستعار وصف جمل:

فقلتُ له لما تمطى بصُلبِهِ وأردفَ أعجازاً وناءً بكلِّك¹²

وإذا ما انتقلنا إلى معاني الفراء وجدنا تطبيقاً إجرائياً لهذه التعريفات الموضوعية للاستعارة، والتي تتحكم فيها نقل الكلمة أو العبارة من معناها الوضعي إلى معنى آخر، أي من معنى أصلي إلى معنى فرعي عنه، فمن ذلك ما ذكره الفراء في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: 15]، فالفواق غير مهموز وفيه لغتان ضم الفاء أو فتحها وهما قراءتان¹³، وقد انتقل الفراء من المعنى الأصلي لهذه الكلمة الذي هو من: "الإفاقة في الرضاع إذا ارتضعت الهمّة أمها ثم تركتها حتى تُنزل شيئاً من اللبن، فتلك الإفاقة والفواق بغير همز"¹⁴، إلى معنى آخر ففسر الفواق بمعنى الراحة¹⁵، وهو معنى غير ظاهر في لفظ الآية وقد توصل إليه الفراء عن طريق تمثّل الاستعارة.

واللافت عند الفراء أنه لا يفصل بين المعنى الأول للفظ ومعنى المعنى -بتعبير الجرجاني- بل ينظر إلى المعنى المستعار على أنه استعمال عربي، أو لغة ثانية من لغات العرب، فمثلاً لفظ (اللّهو) من قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 17] فُسّر عند ابن قتيبة على الاستعارة ومعناه المرأة¹⁶، أما الفراء فقد نقل عن ابن عباس أن اللّهو معناه الولد بلغة حضر موت¹⁷.

إن الاستعارة عند الفراء لا تخرج عن جملة الاستعمالات العربية الفطرية التي يخالف فيها ظاهر اللفظ معناه، ولذلك نجده يفسر معنى الآية على ما سُمّي بَعْدُ بالاستعارة، لكنه لا يُفصّل في ذلك تفصيل البلاغيين حين يرصدون انتقال اللفظ من معناه العرفي إلى معنى مجازي لعلاقة بين المعنيين، فقوله سبحانه: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: 123] أوله البلاغيون على استعارة معنى الإحياء للهداية، والموت للضلال والكفر، ولا يختلف هذا القول عن قول الفراء إلا في تحليل بنية الظاهرة، أما المعنى فقد سبق إليه الفراء، حين فسر معنى الآية بقوله: "أي كان ضالاً فهديناه"¹⁸، على المعهود في الكلام العربي، وهو ما اصطاح عليه فيما بعد بالاستعارة. وكثيرة هي المواضع التي يبني فيها الفراء المعنى على الاستعارة دون تسميتها أو تحليل بنيتها، ولا شك أن الفراء لم يكن يتقصّد التنظير لظواهر اللغة، أو وضع حدود لها، بقدر ما كان يكتشف أنساق اللغة القرآنية ونظامها ويبرز خفيها ويوضح مشكلاتها، وعمدته في ذلك الموروث اللغوي الفصيح ومختلف الأساليب العربية الفطرية.

2. آلية الكناية: مفهومها ووظيفتها الدلالية

يأتي مصطلح (الكناية) عند الفراء للدلالة على الإضمار وهو كثير الورد عند هذا المعنى، بيد أنه تعرض للكناية بمفهوم يكاد يتطابق مع التعريف الذي وضع لاحقا للكناية عند البلاغيين؛ وهو إطلاق اللفظ وإرادة لازم معناه مع جواز إرادة معناه، فقد روى الفراء معنى (السِّر) بإسناد إلى ابن عباس رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُمْ سِرًّا﴾ [البقرة: 237] بمعنى النكاح، وهو استعمال عربي فصيح، ومنه قول امرئ القيس:

أَلَا زَعَمْتُ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنِّي كَبُرْتُ وَأَلَا يَشْهَدُ السِّرُّ أَمْتَالِي¹⁹

ومما يدل على وعي الفراء بمفهوم الكناية بمعناها البلاغي، إirاده عقب هذا النص آية عُذَّتْ مِنْ كِنَايَاتِ الْقُرْآنِ. قال الفراء: "ويرى أنه مما كَتَى اللهُ عَنْهُ قَالَ: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾"²⁰ وجاء التصريح بمصطلح الكناية عند الفراء بمعناه الاصطلاحي عند تفسير معنى الآية الكريمة السابقة من سورة المائدة، فقال: "وقوله: أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ كِنَايَةٌ عَنْ خُلُوعِ الرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ"²¹.

ومن هنا ندرك أن الفراء كان على دراية تامة بالمعاني الثاوية وراء هذه الأسلوب العربي، مدركا أن العربي يتوسع فيطلق اللفظ ويريد لازم معناه، ولا يخرج هذا الاستعمال عما توسعت فيه العربية.

3. الوظيفة التأويلية للمجاز الإسنادي

المجاز ضربٌ من التوسّع في اللغة، إن لم يكن هو التوسع بعينه، وقد اخترنا هاهنا شكلا من أشكاله، وذلك حين يقع التوسّع في الإسناد، فيسند الفعل أو ما في معناه إلى غير من هو له، وقد اهتدى الفراء إلى هذا النمط من الكلام في لغة القرآن، الذي يكون عادة مظنة الإشكال، إذ من جهة المجاز "غلط كثير من الناس في التأويل"²²، والمجاز الحاصل في الإسناد يدخل عند الفراء تحت مصطلح لا يبعد كثيرا عن مفهوم مصطلح (التوسّع) وهو (سعة العربية)²³ التي تسمح بأشكال من الانزياحات التركيبية والدلالية الخارجة عن نظام اللغة المألوفة.

ولعل الفراء قد استشعر أن من بين الفُراء من قد يستشكل إسناد الريح للتجارة في قوله تعالى: ﴿فَمَا رِيحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة:16] حين قال: "ربما قال القائل: كيف تريح التجارة وإنما يريح الرجل التاجر؟ وذلك من كلام العرب: ربح يبيعك وخسر يبيعك، فحسن القول بذلك؛ لأن الريح والخسران إنما يكونان في التجارة، فعلم معناه. ومثله من كلام العرب: هذا ليلٌ نائمٌ"²⁴، وهذا الاستعمال لا يسوغ عند الفراء إلا بضابط؛ وهو زوال الإشكال وعلم المتلقي بالمعنى، وذلك لا يكون إلا بوجود علاقة بين الفعل وما أضيف إليه، وهو ما ألمح إليه الفراء بقوله: "إنما يكونان في التجارة"، فعلم بمفهوم المخالفة أن غموض المعنى واحتمال التباسه يمنع هذا التَّمط من التوسع، قال ابن الجوزي: "فأما إذا أضيف إلى ما يصلح أن يوصف به، وأريد به ما سواه، لم يجز، مثل أن يقول: ربح عبدك، وتريد: ربحت في عبدك"²⁵.

وزاد الفراء هذا الأسلوب العربي تبيانا عند قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: 33] وحجته عادة العرب في إضافة الفعل إلى غير من هو له لحدوثه فيه على سبيل الاتساع، ولظهور معناه، قال الفراء: "المكر ليس لليل ولا للنهار، إنما المعنى: بل مكرهم بالليل والنهار. وقد يجوز أن نضيف الفعل إلى الليل والنهار، ويكونا كالفاعلين، لأن العرب تقول: مهارك صائم، وليك نائم، ثم تضيف الفعل إلى الليل والنهار، وهو في المعنى للأدبيين، كما تقول: نام ليئك وعزم الأمر، إنما عزمه القوم. فهذا مما يُعرف معناه فتتسع به العرب"²⁶.

والمتمثل لهذا النص يلحظ أن هذه الأساليب وغيرها مثلت رافدا أساسا لتأسيس البلاغة العربية، فهذا التجوز في الإسناد هو ما اصطاح عليه بالمجاز العقلي في الدرس البلاغي، ولم تكن تلك الضوابط التي ألمح إليها الفراء غير علاقة من علاقات المجاز الإسنادي التي حصرت فيما بعد عن طريق الاستقراء.

4. المُشاكلة اللفظية وأثرها في بناء المعنى

المُشاكلة مفاعلة من الشُّكل ومعناها المشابهة والمماثلة، وهو اصطلاح بلاغي يُراد به إطلاق لفظ على غير معناه الموضوع له أصالة؛ مُشاكلته لفظاً آخر قُرِن به في الكلام، قال ابن حجة الحموي: "المشاكله هي ذكر الشيء بغير لفظه، لوقوعه في صحبته"²⁷، وهي من الأساليب العربية الفطرية التي وردت في كلام العرب ونزل القرآن الكريم موافقا لها، وقد تنبه الفراء إلى هذا الاستعمال العربي وإن لم يسمه باسمه، وذلك حين استوقفته آية قرآنية ظاهرها مُشكل،

وهي قوله جل شأنه: ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 193]، فتساءل قائلنا: "فإن قال قائل: رأيت قوله ﴿فَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أعدوان هو وقد أباحه الله لهم؟ قلنا: ليس بعدوان في المعنى، إنما هو لفظ على مثل ما سبق قبله، ألا ترى أنه قال: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ فالعدوان من المشركين في اللفظ ظلم في المعنى والعدوان الذي أباحه الله وأمر به المسلمين إنما هو قصاص. فلا يكون القصاص ظلماً، وإن كان لفظه واحداً²⁸.

ولئن كان الفراء لم يضع لهذا الأسلوب تسمية فإن عبارته تدل على استكناه دقيق لطريقة تشكُّله في اللغة والكلام، وبهذا يحق للباحث أن يقول إن أساليب العربية على اختلاف أنماطها، وجدت واكتشفت في أنساق اللغة قبل أن توضع لها أسماء، وتُحدّد بحدود وتعريفات، وهذه الإماعة ينبغي استحضارها من لدن كل باحث يتغى دراسة تاريخ البلاغة العربية.

خاتمة:

نخلص في مختتم هذا البحث إلى أن البلاغة عند أبي زكريا الفراء بلاغة قرآنية، تبرز مباحثها ومسائلها عند تحليل الفراء لألفاظ القرآن وتراكيبه، وإذا علمنا أن (معاني القرآن) للفراء يدور حول توليد المعاني والكشف عنها، فلا شك أن الأساليب البلاغية قد حظيت باهتمام الفراء وهو يكشف عن تلك المعاني ويبرز مدلولاتها.

إن هذه الدراسة أبانت عن تقصد الفراء بالتحليل تراكيبي لغة القرآن، وإبراز مكوناتها، والكشف عن معانيها وأسرارها البيانية، وقد استأثرت الأساليب المشكلة التي تخرج عن مقتضى ظاهر الكلام باهتمامه؛ لما تمثل من مقاطع إشكالية يستهدفها البحث أساساً في حقل (معاني القرآن)، وقد أبان الفراء في هذا الباب عن قدرات تحليلية، ورؤى تأويلية اتسمت بطابع إبداعي استكشافي لمختلف البنى التركيبية والاستعمالات غير المباشرة في كلام العرب. وانتهى بنا البحث إلى الاستدلال على أن الأساليب البلاغية معدودة ضمن آليات وقواعد التفسير التي يوظفها الفراء في سبيل إيضاح المشكلات القرآنية، وفي سياق تلك القراءة التحليلية للغة القرآن أصل أبو زكريا لكثير من الظواهر البلاغية انطلاقاً من الموروث اللغوي

العربي، وخاصة الأساليب الإدراكية الذهنية التي تسري في العربية طبيعة وسليقة. وقد واجه بتلك الأساليب الفطرية كثيرا من المشكلات اللغوية التي قد تعترض فهم القارئ وأزاح عنها ما قد يتوهم فيها من غموض من خلال رؤية بلاغية قوامها أساليب البلاغة العربية.

الهوامش

- 1- المبرد أبو العباس: الكامل، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1992م. 996/2.
- 2- الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد: معاني القرآن، تحقيق يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح شليبي، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م. 458/1.
- 3- انظر، الواحدي علي بن أحمد بن محمد: التفسير البسيط، تحقيق محمد بن صالح الفوزان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. عمادة البحث العلمي، ط1، 1430هـ / 11/133. وأبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006م. 423/10.
- 4- معاني القرآن: 330/2.
- 5- الطبري أبو جعفر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، ط1، 2001م. 579/18.
- 6- الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل شليبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م. 201/4.
- 7- معاني القرآن: 117/3.
- 8- انظر، النكت في إعجاز القرآن، الرماني، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1976م. ص: 83.
- 9- ينظر، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 101/5. وزاد المسير: 118-117/8.
- 10- معاني القرآن: 99/1.
- 11- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، شرح ونشر، السيد أحمد صقر، ط2، 1973م. ص: 135.
- 12- ثعلب: أبو العباس قواعد الشعر، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1995. ص: 53-54. وينظر، ابن فارس أحمد: الصحاح في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تعليق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م. ص: 154-155.

- 13- ينظر، ابن مجاهد أبوبكر: كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1400هـص: 552.
- 14- معاني القرآن، الفراء: 400/2.
- 15- نفسه، والصفحة نفسها.
- 16- تأويل مشكل القرآن، ص: 163.
- 17- معاني القرآن: 200/2.
- 18- معاني القرآن: 353/1.
- 19- معاني القرآن: 153/1.
- 20- نفسه والصفحة نفسها.
- 21- معاني القرآن: 303/1.
- 22- تأويل مشكل القرآن، ص: 103.
- 23- ورد هذا الاصطلاح عند الفراء في أربعة مواطن: 147/1. 259/2. 340/2. 390/2.
- 24- معاني القرآن: 14/1.
- 25- ابن الجوزي جمال الدين عبد الرحمن: زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي لصاحبه زهير الشاويش، بيروت، ط3، 1984م. 38/1.
- 26- معاني القرآن: 363/2.
- 27- ابن حجة تقي الدين أبوبكر الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1987م. 252/2.
- 28- معاني القرآن: 117-116/1.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- ابن قتيبة عبد الله بن مسلم: تأويل مشكل القرآن، شرح ونشر، السيد أحمد صقر، ط2، 1973م.
- الواحدي علي بن أحمد بن محمد: التفسير البسيط، تحقيق محمد بن صالح الفوزان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. عمادة البحث العلمي، ط1، 1430هـ.
- الطبري أبو جعفر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، ط1، 2001م.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006م.
- ابن حجة تقي الدين أبوبكر الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1987م.
- ابن الجوزي جمال الدين عبد الرحمن: زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي لصاحبه زهير الشاويش، بيروت، ط3، 1984م.
- ابن فارس أحمد: الصحاح في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تعليق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م.
- ثعلب: أبو العباس قواعد الشعر، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1995م.
- المبرد أبو العباس: الكامل، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1992م.
- ابن مجاهد أبو بكر: كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1400هـ.
- الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل شلي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م.

-
- الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد: معاني القرآن، تحقيق يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح شليبي، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م.
- الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1976م.